اللسانيات بين الأصالة والمعاصرة – قراءة تعريفية

توطئة

هل التراث العربي ما زال مثار بحث؟

وهل يمكن الإفادة من دراسة التراث في عصرنا الحالي؟ وإلى أي مدى .... وفي أي المجالات....؟

وهل دراسة القدماء دراسة إنسانية وليست دراسة علمية كما يزعم بعض المحدثين ؟

المحاور

المحور الأول : مصطلح اللسانيات بين القدماء والمحدثين .

المحور الثاني : ثنائية الأصالة والمعاصرة في تجارب اللسانيين العرب المحدثين .

المحور الثالث : إشكالية الفهم غير الصحيح للتراث اللغوي العربي .

المحور الرابع : اللسانيات والبلاغة

المحور الأول : مصطلح اللسانيات بين القدماء والمحدثين :

- إنَّ اللسانيات (linguistique) مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني lingua الذي يعني اللسان أو اللغة، وأول من استعمل مصطلح اللسانيات هو جورج مونان(J. mounin)، وذلك في عام 1826 أو1833م ، أما كلمة لساني Linguiste فقد استعملها رينوار Rainouar عام 1816م .
- إنّ هذا الاستعمال لمصطلح (اللسانيات) أو (علم اللسان) قديم في التفكير اللغوي العربي، للدلالة على كل دراسة خاصة باللسان تمييزاً لها بما هو خارج عنها من علم أصول الفقه وعلم الكلام وعلم الحديث وعلم المنطق وعلم الحساب والفقه التعريفي وغيرها من فنون المعرفة .

مصطلح علم اللسان عند القدماء

- فقد ورد مصطلح (علم اللسان) في كتاب إحصاء العلوم للفارابي (ت349هـ) للدلالة على كل العلوم اللغوية، متجِّهاً بالمصطلح نحو الدلالة من دون تخصيص للغة أو أخرى، فضلاً عن وروده في محكم ابن سيده (ت458هـ) وأراد به جميع العلوم النافعة، ومنها الكلام العربي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- فتصورات القدماء مقاربة للمصطلح الحديث Linguistque متطوراً في أثواب مُتعددة منها اللسْنيات والألسنية واللسانية واللسانيات الذي استقر مصطلحاً عاماً وشائعاً في أغلب المحافل اللغوية والدراسات الحديثة بعد أن قررته ندوة اللسانيات التي عُقدت بتونس عام 1978م باقتراحات تقدم بها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، إذ استعمله في معهد الدراسات الصوتية واللسانية في الجزائر عند إصداره لمجلة (اللسانيات).

مفهوم اللسانيات حسب في علم اللغة الحديث

- مفهوم اللسان أو اللسانيات حسب ما عرّفه العلم الحديث: علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية، فتكون دراسته بعدّه موضوعاً من موضوعات البحث العلمي و"تتجنب في نفس الوقت كل التصورات غير العلمية التي ترجع إلى ماهية اللغة ومختلف مظاهرها"، وتقوم الدراسة على الوصف ومُعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، هذا وتشمل الدراسة اللسانية للغة الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية، كما توفر الدراسة معلومات مهمة عن بنيته الآنية وتطوراتها اللسانية عبر الزمن وعلاقتها بالنظم اللسانية الأخرى في إطار القرابة والأصل المشترك.

ماذا يمكن أن يدخل من المفاهيم في ميدان اللسانيات؟ وماذا يمكننا أن نعطيه صفة اللسانية، ويدخل ضمن موضوعات علم اللسان؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، سننطلق من التحديد الذي وضعه الباحث الفرنسي أندريه مارتيني (A. Martinet)الذي قال: "إنّ اللسان هو أداة تبليغ، يحصل على مقياسها تحليل ما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ وهي العناصر الدالة على معنى (Monemes)ويتقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة: هي العناصر الصوتية (أو الوظيفة) (phonemesويكون عددها محصوراً في كل لسان، وتختلف هي أيضاً من حيث ماهيتها والنسب القائمة بينهما باختلاف الألسنة".

اللسان أداة تبليغ بحسب مارتيني

- إذا تتبعنا الصفات التي ذكرها مارتيني، نجد أنّ جميعها لازم لمفهوم اللسان لا تفارقه أبداً، فأول هذه الصفات هي أنها: (أداة تبليغ) وفي هذه العبارة عنصران أساسيان:
- الأول: هو مفهوم الأداء (أو الوظيفة (Foncion، الذي تقتضيه كلمة (أداة).
- والثاني: هو التخاطب أو التبليغ المتبادل بين أفراد الجماعة، وهو تبادل معلومات وأغراض بكيفية خاصة.
- ويقتضي التخاطب ((Communication شيئين أيضاً:
- الأول: هو أنّه لا يتم إلا بواسطة نظام من الأدلة والعلامات، وهذا ليس خاصاً باللغة؛ لأنّ الأنظمة الدلالية كثيرة مثل (الإشارات العادية، والإشارات المصطلح عليها في البحرية، وإشارات المرور... وغير ذلك، إلا أنّه صفة لازمة للغة.
- والثاني: هو أنّ اللغة إنما هي مواضعة واصطلاح ((code يتواضع عليه الناطقون بها.

علم اللسان عند الفارابي

- وتجدر الإشارة إلى أنّ من اللغويين العرب القدماء من أعيان القرن الثالث الهجري وهو الفارابي الذي أطلق على العلم اللغوي العام مصطلح (علم اللسان)، والذي يدرس ـــ في نظره ــ أصوات اللغة وأبنيتها التركيبية والمعجمية والدلالية فيما تبحثه اللسانيات الحديثة بالضبط في أيامنا، وفي هذا السياق يقول: " علم اللسان في الجملة ضربان: أحدهما: حفظ الألفاظ الدالة في لسان كل أمة، والثاني: علم قوانين تلك الألفاظ " .

استعمال الفارابي المصطلح له دلالتين

- ***أولاهما:*** عامة تعني دراسة اللسان البشري دراسة علمية، ***وثانيهما:*** الاقتصار على لسان بعينه، فبذلك يتفرع علم اللسان إلى فرعين هما:" علم اللسان الإجرائي ذي الغرض التعليمي وعلم اللسان النظري الذي يعنى بالقضايا العامة في البنية اللغوية " مما يبرر لنا اليوم استعمال مصطلح اللسانيات للدلالة على الدراسة العلمية العامة للنظام اللغوي، وظاهرة التبليغ البشري أو ما يُعرف تحديداً (((linguistique، كما يمكن إدخال جوانب علمية تطبيقية تنتمي الآن إلى فرع مستقل في اللسانيات المعاصرة يطلق عليه اسم اللسانيات التطبيقية .

دراسة القدماء دراسة علمية وليست إنسانية

- فقد تبين لنا من خلال ما تقدَّم بأنّ كلُّ من ذهب إلى أنّ دراسة اللغة عند علمائنا العرب القدامى كانت دراسة "إنسانية وليست علمية"هو رأيٌّ تنقصه الدقة، وإجحاف بحق اللسانيين العرب القدماء، فعملهم " علمي دقيق، يعَّول على الملاحظة والاستقراء، والإفراط في الحيطة ... حتى لنستطيع أن نكون مطمئنين إلى أكثر ما استنتجوه من خصائص لغتنا "، فللعرب باعٌ طويلٌ في علم اللسانيات، وينبغي أن يؤرخ له كما يؤرخ لغيره ضمن التفكير اللغوي الإنساني، لاسيما الفكر اللغوي الهندي واليوناني، وأن يعطى مكانه الصحيح واللائق به في ركب الحضارة الإنسانية ولاسيما في جانبها اللغوي، بل يمكننا القول: أن العرب قد سبقوا الغرب إلى بعض النظرات اللسانية، ولن يصل الغربيون إلى بعضها الآخر إلا بعد أمدٍ طويل .

معنى العلمية الواردة في تعريف اللسانيات

- فكلمة (علم) الواردة في تعريف اللسانيات، لها ضرورة قصوى لتحديد معنى (العلمية) في دراسة اللغة " في ذاتها، ولذاتها (وهو مفهوم دي سوسير) و ينطوي تحته المصطلحات المعروفة، وهي: علم اللهجات Dialectdogie, وعلم الاشتقاق التاريخي Grammaire، والمعاجم Lexicdogie، والصرف Morphologie، والأعلام Onomastique، والفيلولوجيا phouologie، وعلم الأصوات العام Phonetique، وعلم الأصوات التشكيلي Phonologie، وعلم الدلالة Semantique، وعلم الأسلوب Stylistique، وأسماء البلدان Toponymie.

المحور الثاني : الإلمام بثنائية الأصالة والمعاصرة في تجارب اللسانيين العرب المحدثين

1ــ نقد التراث إلى حدَّ الاستهجان والدعوة إلى الحداثة والتجديد، ويمِّثل موقف (القطيعـــــــــــــــــــــة مع التراث). أو ما يسمى بـ(ثقافة الشرخ) الذي يعيشه المثقف العربي.

2ــ موقف التعصب إلى التراث واستحسانه، والتسليم بما جاء فيه جملةً وتفصيلاً.

3ــ موقف التوفيق بين القديم (التراث اللغوي) والجديد(البحث اللساني).

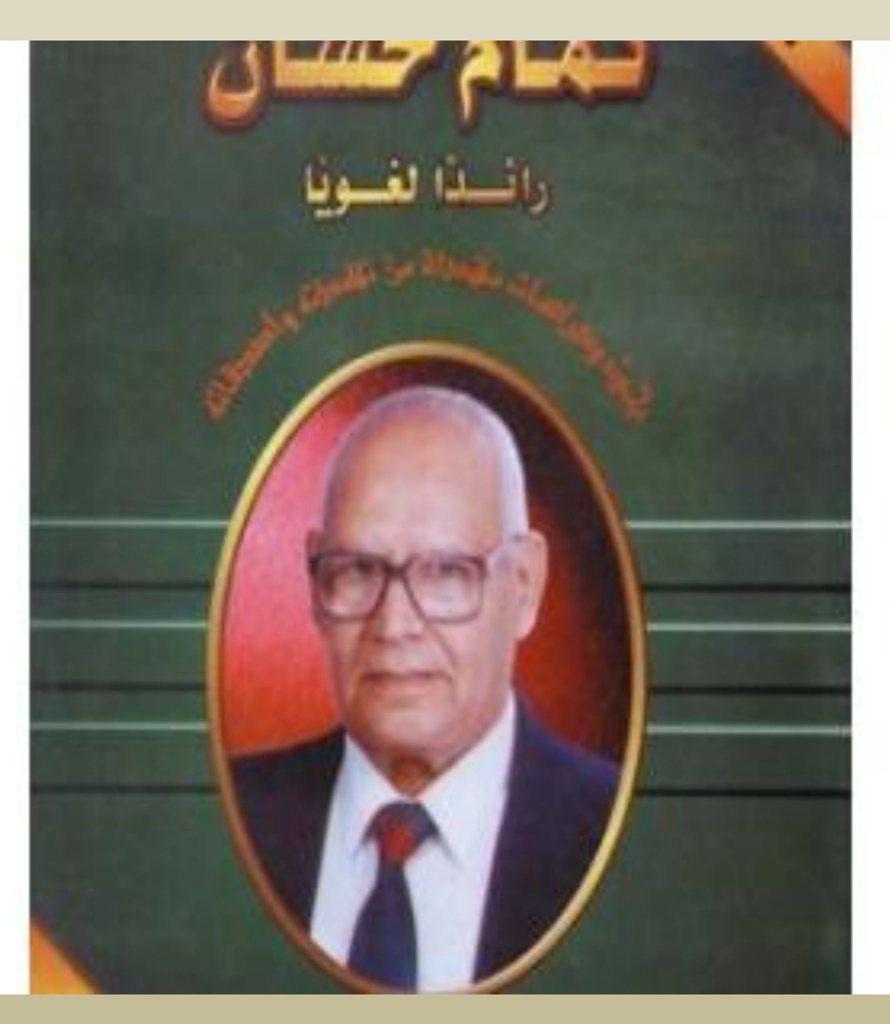


الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري

رئيس جمعية اللسانيين بالمغرب العربي



الدكتور عبد السلام المسدي



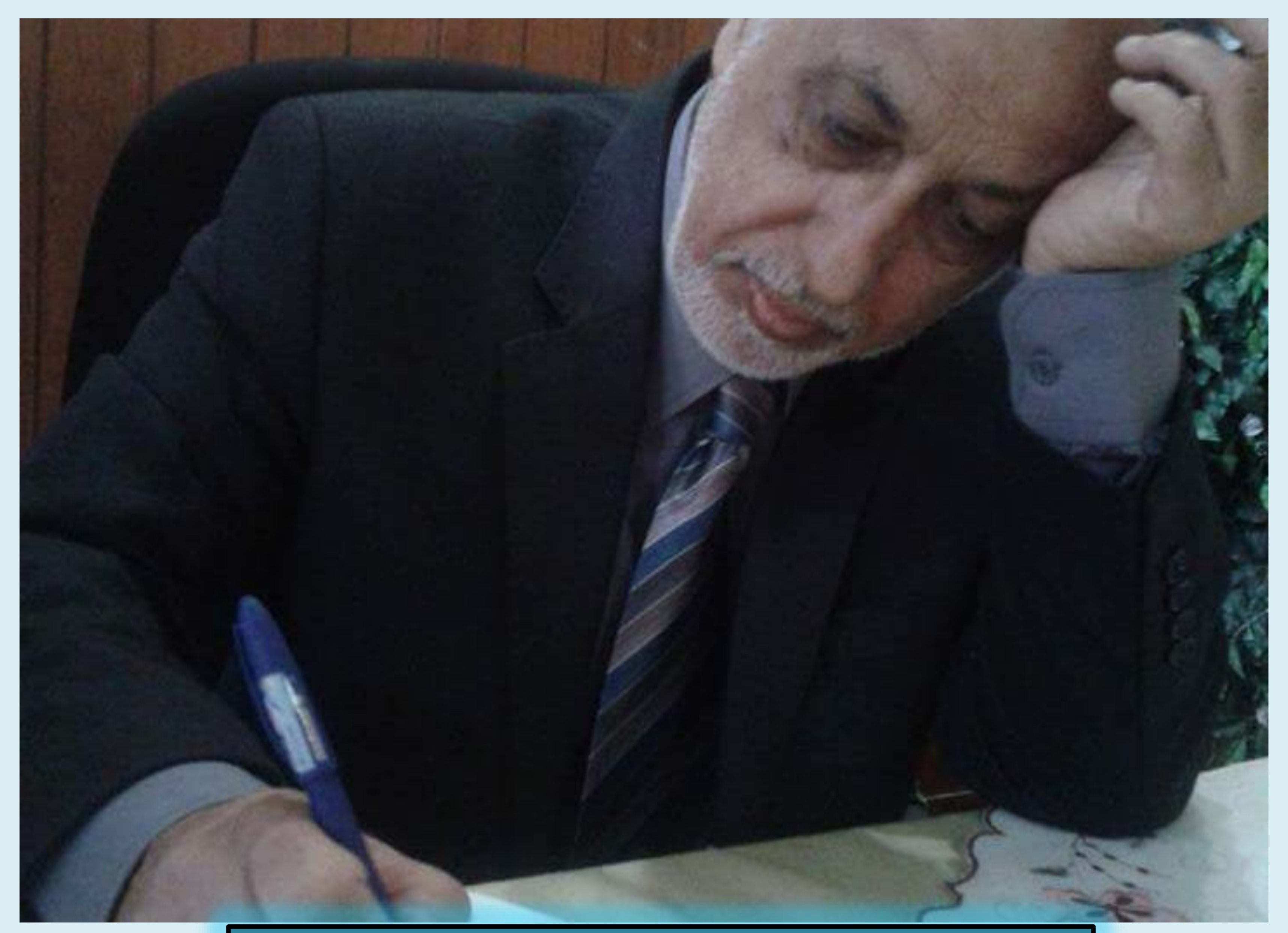
ا لدكتور تمام حسان

رائد المنهج الوصفي والبنيوي من خلال نظرية القرائن



الدكتور أحمد المتوكل

له تنسب اللسانيات الوظيفية العربية



الأستاذ الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي
مؤسس جمعية اللسانيين العراقيين



الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

رئيس المجمع اللغوي الجزائري



ا لدكتور نهاد الموسى

لساني من المملكة الأردنية له مؤلفات عدة منها : نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، والعربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية وغيرهما .

يعتبر أحد أعلام اللسانيات في الوطن العربي، وله منهج واضح في درس اللغة، تناول من خلاله ظواهر موضوعية منهجية في اللغة العربية، فأسهم إسهاماً فعّالاً في تشكيل النظرية اللغوية الحديثة، وأضاف الكثير إلى أهداف تعلمها وتعليمها وطرق تناولها، وقد عرض في كتابه لوجوه الائتلاف والاختلاف بين أنظار النحاة العرب وأنظار النحاة الغربيين .

الدراسات التركيبية

- تُعدُّ البحوث التركيبية من أهم مجالات البحث اللساني التي حظيت باهتمام كبير، إذ نجد توافقاً واضحاً بين علم التركيب ((syntaxوعلم النحو، فقد " كان كتاب سيبويه حجر الأساس الذي قام عليه الدرس اللغوي العربي، وتجددت من خلاله معالم علوم اللغة، فعلم النحو عنده يعني علم التراكيب الذي يختص بدراسة القواعد التي تحكم بناء الجملة وتركيبها، والضوابط التي تضبط كل جزء منها، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض، وطريقة ربط هذه الجمل وأنواعها، وهذا النوع من الدرس يعرف في علم اللغة الحديث باسم syntax، أي دراسة بنية التراكيب structuresأو الجمل".

جهود الدكتور نهاد الموسى انموذجاً

الأول: درس أعمال النحاة العرب درساً منهجيّاً تحليليّاً، استطاع من خلاله إغناء اللغة العربية بأصول أضافت إلى بنيان النظرية اللغوية العربية الحديثة .

والثاني: حاول قراءة النحو العربي قراءة مقرونة برؤية منفتحة على اللسانيات الحديثة من أجل الإبانة عن وجوه استثمارها والانتفاع بها، وهو يتمسك بثوابت في الدرس اللغوي تتجلى في قراءات مستأنفة لظواهر العربية وتحليل عميق لقضاياها على نحو يُسهّل عمليه الانتفاع بما طوّره اللغويون الغربيون. فضلاً عن نظرته للعلم بأنّه عبارة عن سلسلة من الحلقات، كل حلقة ترتبط بأختها السابقة واللاحقة.

السلسلة اللغوية عند النحويين

- معطيات لغوية ← قواعد نحوية تمثلها كتب النحاة ← أصول نظرية يستخلصها المنظّرون من كتب النحاة.

مقابلات الدكتور نهاد الموسى بين الدرس اللساني والنحو العربي

1- المؤلفات المباشرة .

2- البنى العميقة والسطحية (الجواني والبراني) .

3- البعد التداولي .

المؤلفات المباشرة أو المكونات المباشرة

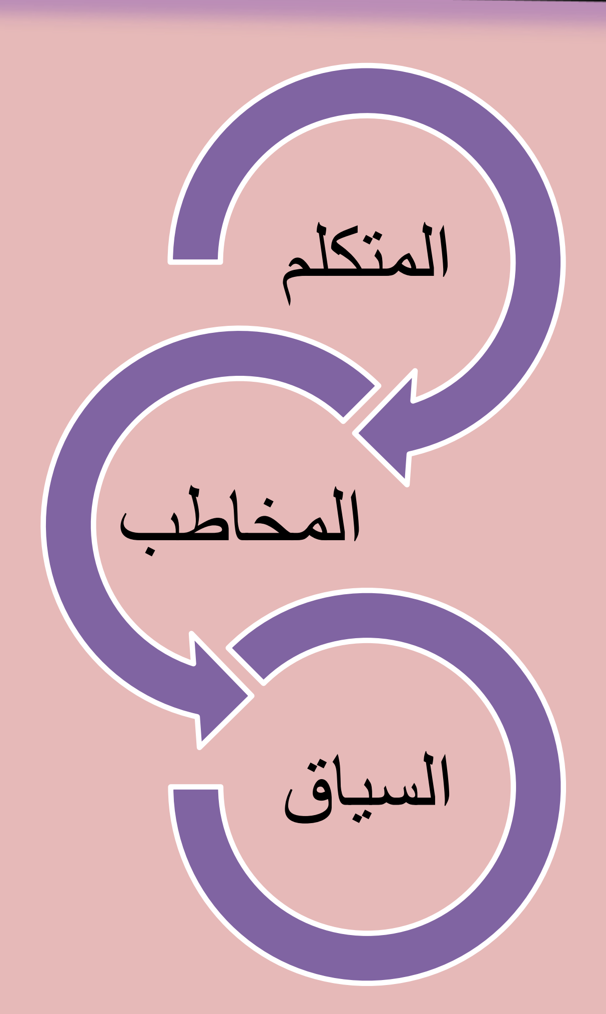
- هو مصطلح أطلقه بلومفيلد ليعني به أنّ الكلمات غير متسلسلة على شكل خطي، وإنما هي عبارة عن وحدات دنيا تتجمع لتكون مؤلفات، وهذه المؤلفات تتجمع لتكون مؤلفات أعلى منها، وهكذا حتى تصل إلى المؤلفين الرئيسيين اللذين يكونان الجملة،
- المؤلفات المباشرة ⬅ الموضوع،
- والمؤلفات المباشرة ⬅ المحمول.

وقد وازن الدكتور الموسى بين هذا التقسيم وتقسيم النحاة العرب القدماء.

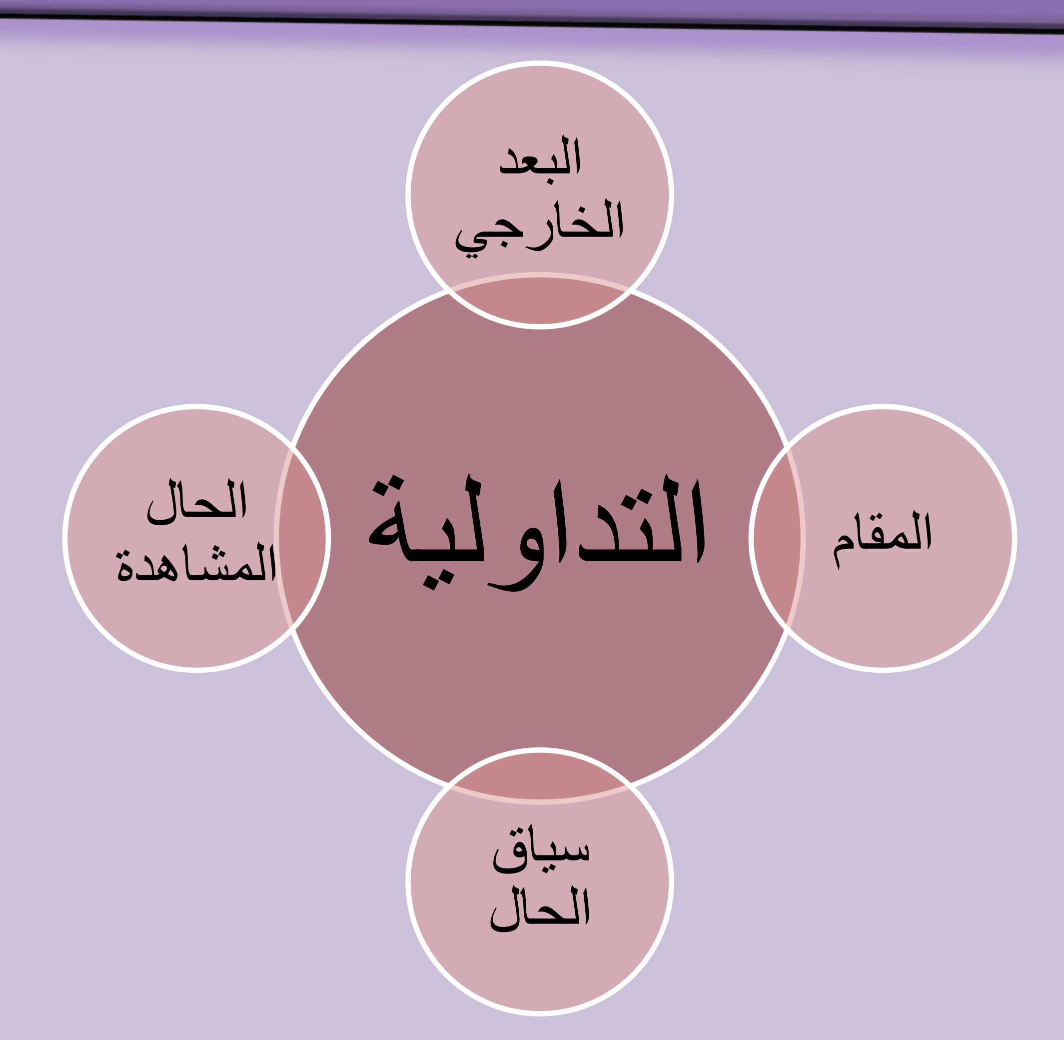
- مكوّنة من مبتدأ وخبر، وكيفما كان توسيع المبتدأ أو الخبر فيظل منطق الجملة واحداً:

المبتدأ	**الخبر**
العلمُ	نورٌ
معرفةُ الحقِ	نورٌ
معرفةُ الحق	غاية العقل...

البعد التداولي



البعد التداولي

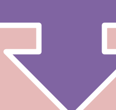


المحور الثالث : الفهم غير الصحيح للتراث

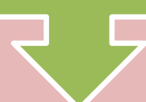
1. بدأ الدارسون والباحثون العرب بالفهم غير الصحيح للتراث العربي؛ وذلك أنّ تراثنا العربي يجب أن يكون بمعزل عن اللسانيات الحديثة...



2. أنّ أهم الدراسات المبكرة التي أولت اللغة العربية من حيث هي كائن اجتماعي يتطور ويؤثر ويتأثر، تلك التي تبناها الغربيون في أواخر القرن التاسع وبدء القرن العشرين....

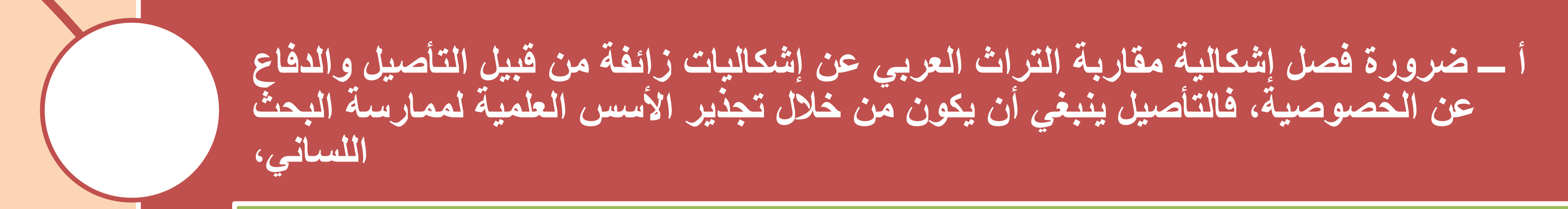


3. يذهب الدكتور المسدي إلى أنّه لابُدّ من إقامة حوار معرفي مع التراث، فهذا الأخير ــ الحوار ــ يقينا خطر الانبهار ....



4. جعل اللسانيات حافزاً يدفع الكثير من الباحثين إلى العودة إلى التراث جمعاً وتمحيصاً ، فضلاً عن أنها تمكننا من التفكير جدياً في وضع التراث اللغوي العربي في مكانته الصحيحة ...

مقترحات لتطوير وتلافي الإشكاليات في الدرس اللساني العربي الحديث وربطها بالدرس اللغوي العربي القديم



ب ــ استثمار أسلوب تقويمي جديد ينبني على مسلَّمة مفادها أنّ دراسة أعمال القدماء يجب أن تُستخلص منها أهم المحوريات المتحكمة فيما أنجزوه، وموازنتها بمحاور اللسانيات المعاصرة، بدل أن تقف المقارنة عند حدود سطحية

ج ــ بناء أدوات صالحة لوصف اللغة العربية تخضع للشروط الإبستمولوجية مثل: البساطة والشمول والدقة.

د ــ تنظيم أدوات الوصف والتفسير بحسب مستويات الدرس اللساني المعاصر (المستوى الصوتي، والصوفي، والتركيبي، والتداولي...).

هــ بناء لسانيات أصيلة وحديثة، تستطيع أن تجدد تصورها للتراث وتفتح منافذ إدراجه في البحث اللساني العربي، لسانيات واعية لتأسيس الإطار المعرفي لقراءة التراث (النحوي، البلاغي، الصرفي...)